أثر السياق في دلالة الأفعال على الزمن المستقبل في القصص القرآنيّ

The effect of context on the denotation of verbs on the future tense in the Qur'anic stories

الباحث– تحسين علي حسين
Atshsin@gmail.com

أ. د. مجيد طارش الربيعيّ
mtarish@uowasit.edu.iq

جامعة واسط– كلّيّة التربية للعلوم الانسانيّة

المستخلص

تناولت هذه الدراسة بيان أثر السياق القرآنيّ في تحديد زمن الأفعال الواردة في القصص القرآنيّ، فإنّ الصيغ الفعلية الثلاثة (الفعل الماضي، والفعل المضارع، وفعل الأمر) قد تخرج عن تلك الصيغ بحسب السياق الذي ترد فيه، فقد يدلّ الفعل الماضي على المستقبل، وقد يدلّ فعل الأمر على الزمن الماضي، وقد يّبر عن المستقبل بصيغة الماضي لتأكيد حصول الفعل وحتمية وقوعه، وقد يُعبر عن المستقبل بالفعل المضارع للدلالة على استمرار الحدث، وما يُشير إلى الزمن المستقبل هي القرائن اللغويّة والحالية المُحيطة بالفعل، والتي تصرف زمن الفعل للمستقبل.

Abstract

This study dealt with the statement of the impact of the Qur'anic context in determining the time of the verbs contained in the Qur'anic stories. The action of the matter is based on the past tense, the future may be expressed in the past tense to confirm the occurrence of the action and its inevitability, and the future may be expressed by the present tense verb to indicate the continuation of the event.

توطئة

الحمد لله الذي أنزل قرآنه هداية للعالمين وتبياناً لكلّ شيءٍ إلى يوم الدين، والصلاة والسلام على من لم ينقص من القرآن حرفاً محمّد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد: فإنّ الزمن أحد العناصر المهمة في اللغات الإنسانية؛ فالزمن محصلة لدلالة التراكيب والصيغ داخل الجملة، وتكمن أهمية الزمن؛ لفي أنّه لا يمكن دراسته خارج السياق الذي يرد فيه، فهنالك قرائن لغوية وغير لغوية تؤثر على الفعل، وتساهم في تحديد دلالته الزمنية، ويقسم الزمن إلى أقسامٍ ثلاثةٍ (الماضي والحال والمستقبل)، ونحن هنا بصدد دراسة الزمن المستقبل، وقد عبّر عنه سيبويه عن زمن الفعل الدالّ على المستقبل (بما يكون ولم يقع)[١]، فالمستقبل: هو زمن حدثٍ غير متحقق الوجود في حال التكلم[٢]، فهو حدثٌ معدومٌ في الوقت الحالي، ويكون تحققه أو عدمه في الوقت اللاحق، وقد عرّفه عبد القاهر الجرجانيّ بأنّه "ما يترقّب وجوده بعد زمانك الذي أنت فيه يُسمّى به؛ لأنّ الزمان يستقبله"[٣]، ومن الممكن أن تدلّ الأفعال بصيغها الثلاثة على الزمن المستقبل؛ بحسب القرائن اللفظية والمقامية، والتي تصرف الفعل عن صيغته الأصلية وتخلصه أو تؤكده للمستقبل.

أولاً: دلالة الفعل الماضي على الزمن المستقبل

قد ينصرف الفعل الماضي إلى الزمن المستقبل إذا اقترن بما يصرف زمنه للمستقبل، وبحسب السياق اللغويّ أو المقاميّ للفعل داخل التركيب، وبتأثير القرائن السياقيّة؛ كأن يقترن بظرفٍ دالٍ على المستقبل، أو يسبقه فعل أمرٍ، أو مسبوقاً بـــ(إذا) الشرطية، وغيرها من القرائن، وسنبيّن ذلك فيما يلي:

دلالة الفعل الماضي على الزمن المستقبل بدلالة ظرف الزمان

قد يدلّ السياق على المستقبل القريب كما في قوله تعالى: **ئز لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئم ئه بم به تم ته ثم ثه سم سه شم شه ئر**[٤]، فالخطاب لنبيّ الله لوط(>) للخروج من المدينة الّتي أسرف أهلها في عمل الفواحش؛ لأنّ العذاب نازل عليهم، فأمر الله تعالى نبيه بالخروج بأهله، واستثنى امرأته من النجاة؛ لأنّها على دين الفاسقين[٥]، فالسياق يُبيّن الدلالة الزمنيّة للتركيب (مآ أصابَهُم) وهو الزمن المستقبل، مع إنّه جاء بصيغة الماضي، فالأمر فيه إشارةٌ إلى الزمن المستقبل المرتبط بالحاضر، أي: قريباً من زمن

التكلم، وهذا ما دلّ عليه قوله تعالى في بداية الآية ﴿نز نر نم نن نى ني﴾ أي: "بظلمةٍ من الليل، يقال: معنى قِطعٍ من الليل أي قطعةٍ صالحةٍ"(٦)، فإنّ الأمر لنبيّ الله لوط وأهله بأن يكون المسير ليلاً، وهذا زمن سابق لموعد هلاك القوم الكافرين؛ لأنّ الهلاك موعده الصبح؛ وهذا ما دلّ عليه قوله تعالى في ختام الآية: ﴿ئز ئم ئن ئى ئي﴾ أي: عند الصبح ينزل العذاب عليهم، فاخرج منهم قبل ذلك(٧).

فالصبح زمن مستقبل بالنسبة لحال لوط (>) مع قومه حين نزول الملائكة، وأمرهم له بالمسير، فإنّ الهلاك لم يحصل بعد ولم يُصبهم بعد؛ وإنّما عُبّر عنه بصيغة الماضي مع إنّه حدث مستقبل "أو في معنى الاستقبال تنبيهاً على تحقق وقوعه نحو قوله تعالى: ﴿ئز ئم ئن ئى ئي﴾ (٨)"(٩)، للدلالة على تحقق حصول الهلاك للقوم الكافرين، ونجاة لوط وأهله، واستثنى امرأته من ذلك، وجعلها مع القوم الكافرين، فعبّر عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ئز ئم ئن ئى ئي﴾، فزمن الهلاك يُشير إلى المستقبل القريب؛ لأنّ لوطاً تمنى أن يُهلكهم الله عزّ وجلّ في تلك اللّحظة الّتي توعدوه فيها، فحين علِم بأمر هلاكهم، قال: الآن، الآن، فقالت الملائكة: ﴿ئز ئم ئن ئى ئي﴾؛ وذلك فيه دلالة على قُرب وقوع الهلاك(١٠)، كما إنّه سبحانه وتعالى لم يذكر خروجهم من القرية، بل توقف الزمن لحظة الأمر بالمسير، لتسير الأحداث زمنياً وتُبيّن قُرب هلاك القوم الفاسقين؛ فأن المُخاطَب يشعر بقرب ذلك الموعد وشدّة قربه من الحال، وكأن الصبح قد جاء ومعه العذاب نازلاً على تلك القرية وأهلها.

دلالة الفعل الماضي على الزمن المستقبل بدلالة الشرط

يخلص زمن الفعل الماضي للاستقبال إذا سُبق بـــ(إذا) الشرطية؛ "فالغالب أن تكون ظرفاً للمستقبل مضمّنة معنى الشرط وتختصّ بالدخول على الجملة الفعليّة"(١١)، وقد جاءت بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ئز غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ ممئر(١٢)، فالآية الكريمة تتحدث عن قول رجلين أسلما مع موسى (>) وهما يخاطبان بني إسرائيل ويحثوهم لدخول قرية الجبّارين، بعد أن تقاعسوا ويأسوا من النصر، بسبب اخبار النقباء لهم بشدة بطش الجبّارين وعِظم أجسامهم وقوتهم(١٣).

وزمن دخول القرية هو الزمن المستقبل، مع إنّه عبّر عنه بصيغة الماضي بقوله: (دخلتموه)، إلّا أنّ السياق يصرف زمنه للمستقبل؛ ومن القرائن السياقيّة الّتي تؤكد الزمن المستقبل للفعل، صيغة الأمر بقولهم: ﴿ئز كج كح كخ ئر ؛ لأنّها تدلّ على حدث لم يحصل بعد،

ومعناه: "ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم أي باغِتُوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الأصحار"(١٤).

وأبرز ما يُشير إلى الزمن المستقبل للفعل (دخل)؛ إنّه جاء مسبوقاً بـــ(إذا) فقد صرفت زمن الفعل للمستقبل؛ أي: إنّكم إذا دخلتم عليهم هزمتموهم وسيكون النصر لكم.

كما إنّ الأمر بالتوكل بقولهم: ﴿ لـ لهـ مجـ ﴾، فيه دلالةً على الزمن المستقبل، أي: توكلوا على الله واعقدو العزم على القتال ونصرة الرسول، إن كنتم مؤمنين حقاً بالله ونبوة موسى (>)(١٥)، فإن حصل التوكل من بني إسرائيل وأخلصوا وأطاعوا نبيهم؛ فإنّهم غالبون؛ لأنّ الله تعالى قد وعدهم بالنصر في قوله تعالى: ﴿ ئه بج بح بخ بم به تج تح ﴾(١٦)، لذلك نجد أخبار الرجُلان بحتمية النصر إذا عَزِم بني إسرائيل على محاربة الجبّارين.

كما إنّ السياق يؤكد الزمن المستقبل للفعل لوجود النفيّ للدخول بقولهم: ﴿ سم صح صخ صم ضج ضح ﴾(١٧)، ومعنى قولهم: "إن يخرج منها هؤلاء الجبّارون دخلناها، وإلّا فإنّا لا نُطيق دخولها وهم فيها؛ لأنّه لا طاقة لنا بهم"(١٨)، ثمّ يعود السياق في الآية اللاحقة ليؤكد عدم دخولهم وتخاذلهم وجُبنهم في قوله تعالى: ﴿ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى ﴾(١٩)، فإنّ قولهم نفي مؤبد للدخول ومستغرقاً لكلّ الزمن المستقبل لوجود الجبّارين في القرية(٢٠).

دلالة الفعل الماضي على الزمن المستقبل لتأكيد حصول الحدث

ومن ذلك ما جاء في قصة موسى وهارون (=) مع فرعون حين طلبا ودعيا الله تعالى أن يُهلك فرعون وقومه، وأن يُهلك أموالهم ويجعل قلوبهم قاسيّة ليستحقوا عذاب الأخرة، فقال تعالى: ﴿ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج ﴾(٢١)، فقد عبّر سبحانه وتعالى عن إجابته لدعوتهما بصيغة الماضي مع إنّ السياق يدلّ على زمن المستقبل حين اعلامهم باستجابة الدعاء؛ وسبب التعبير بصيغة الماضي؛ لأنّ "الفعل الماضي يفيد تحقيق الحصول في المستقبل ، فشبه بالمضي"(٢٢)، فالأخبار عن تحقق الإجابة لدعوتهما وقبولها على طريقة الحكاية والمحاورة المباشرة، مع إنّ الإجابة لم تتحقق بعد، وقيل إنّ فرعون قد مكث بعد دعوة موسى وهارون (=) أربعين سنة(٢٣).

كما إنّ فعل الأمر (استقيما) يشير إلى الزمن المستقبل؛ أي حين قُبلت الدعوة "فاثبتا على ما أنتما عليه من التبليغ والإنذار زيادة في إلزام الحجّة"(٢٤)، فالأمر بالاستمرار بالدعوة والوقوف بوجه فرعون وملائه؛ فيه دلالة على أنّ العذاب لم ينزل بعد، ممّا يدلّ على أنّ الإجابة لم تحصل في الوقت الحالي، وإنّما حدث الإجابة زمنه المستقبل.

وممّا يؤكد الزمن المستقبل للفعل (أُجيبت)؛ هو وجود النهيّ عن الاستعجال في تحقق تلك الدعوة، ونزول العذاب على الكافرين وهلاك أموالهم واستحقاقهم عذاب الدّنيا والأخرة وذلك في قوله تعالى: في ختام الآية الكريمة: ﴿ئز مح مخ ممى مي نج ئر﴾؛ ومعناه: لا تستعجلا ما طلبتما في حكمي وقضائي فإنّ وعد الله مُنجز ولا يخلف الله وعده، ولا تستعجلا حصول الأمر؛ فإنّ ذلك لا يفيد في إجابة الدعاء؛ فإنّه يحصل ولو بعد حين[٢٥]، فالأمر والنهي في الآية الكريمة يدلّان على قبول الإجابة للدعاء، وإنّ تحققه حاصلٌ في الزمن المستقبل.

ثانياً: دلالة الفعل المضارع على الزمن المستقبل

قد يخلص زمن الفعل المضارع للمستقبل وبحسب السياق وتأثيره على الزمن العامّ للحدث، فقد ينصرف للاستقبال لوجود ظرف زمان يدلّ على الاستقبال، أو اقترانه بحروف التنفيس، أو أن يكون دالاً على الطلب (كالدعاء، أو بالعرض والتحضيض، أو ترجٍ)، أو مسبوقاً باستفهام، أو نهي وغيرها من القرائن.

دلالة الفعل المضارع على الزمن المستقبل بقرينة ظرف الزمان

قال تعالى: ﴿ئز ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح ئر﴾[٢٦]، فإنّ الفعل المضارع (أخاف) يدلّ على المستقبل لدلالة الظرف (يومٍ أليمٍ)؛ لأنّه يُشير إلى أحداث يوم فيه عذابٌ أليمٌ وقد "أضاف الألم إلى اليوم واليوم ليس بمؤلم ولكنه – واللّه أعلم – أضاف إليه؛ لما فيه يؤلم، وهو كقوله: ﴿ئز يي ذٰ ئر ، والليل لا يسكن ولا يوصف به، لكنه يسكن، فيه، وكذلك قال: ﴿ئز يم ينئر، والنهار لا يبصر، لكنه يُبصر فيه؛ فعلى ذلك قوله: (يومٍ أَلِيمٍ) لما فيه يكون العذاب الأليم"[٢٧].

وممّا يدلّ على الزمن المستقبل للفعل؛ إنّ الخطاب جاء بصيغة النهيّ والإنذار والتحذير لعاقبة كُفرهم، كما إنّ الخوف يكون رجاءً لغيره[٢٨]، وكلّ ذلك يُشير إلى الزمن المستقبل؛ أي: إنّ فعل الخوف نفسه فيه دلالة على الزمن المستقبل، وهذا من السياق المعجمي لدلالة الألفاظ، كما إنّ السياق يؤكد على إنّ جملة (أخاف عليكم) خالصة للمستقبل؛ لأنّها "تستعمل للتوقّع في الأمر المظنون أو المقطوع به باعتبار إمكان الانفلات من المقطوع به، كقول لبيد: (أخشى على أربَد الحتوف ولا ، أرهب نوء السّماك والأسد)[٢٩]، فيتعدّى الفعل بنفسه إلى الخوف منه ويتعدى إلى المخوف عليه بحرف(على) كما في الآية وبيت لبيد"[٣٠]، فالآية تُشير للزمن المستقبل؛ لأنّ المقصود بـــ(يَوْمٍ أَلِيمٍ) يوم القيامة، أو في زمن الدّنيا، فيكون المقصود (يوم الطوفان)؛ أي: غرق

فرعون وجنوده[٣١]، وكلا المعنيين يُشير إلى الزمن المستقبل، وقيل: إنّه يشمل عذاب الدّنيا وعذاب الأخرة[٣٢]، فإنّ زمن العذاب يمتدّ من زمن التكلم وداخلاً في يوم القيامة، وممّا يؤكد ذلك مجيء (العذاب) مضافاً إلى نكرة، فيكون نكرةً في المعنى؛ فيحتمل عذاب الدّنيا والأخرة معاً[٣٣].

إلّا أنّ السياق يرجح زمن المستقبل القريب، أي التحذير من عذاب الدّنيا؛ لأنّ "المراد بعذاب يوم أليم عذاب الاستئصال دون عذاب يوم القيامة أو الأعمّ من العذابين يدلّ على ذلك قولهم له فيما سيحكيه الله تعالى عنهم: **ئزاً لي ما مم نر نز نم نن** ىن ني ىٰ ير **يز يم** ين **يى يي ئج ئح ئخ ئم ئهئر**[٣٤] الآية، فإنّه ظاهر في عذاب الاستئصال"[٣٥]، فيترجح القول بالتخويف والتحذير من عاقبة أعمالهم في الحياة الدّنيا (يوم الطوفان)، وهو المستقبل القريب نسبةً إلى يوم القيامة، ومهما يكن من ترجيح العلماء لزمن العذاب سواءٌ في الدّنيا أو في الأخرة، فإنّه يشمل الزمن المستقبل في كلتا المرحلتين الزمنيتين.

دلالة الفعل المضارع على المستقبل بحروف التنفيس

يخلص الفعل المضارع للزمن المستقبل إذا دخلت عليه إحدى حروف التنفيس (السين، أو سوف)[٣٦]، ومن الأمثلة القرآنيّة على ذلك، قوله تعالى: **ئزاً ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي ئر**[٣٧]

إنّ الخطاب القرآنيّ في الآيتين الكريمتين؛ حكايةً عن قول ذي القرنين لقومه محذراً إياهم، ومبيناً لهم عاقبة الكفر، ومبشراً لمن يؤمن منهم، ومعنى قوله: "أمّا من كفر فسوف نقتُله... وقوله **ئزاً بي تر تز تم تن تى تيئر** يقول: ثمّ يرجع إلى الله بعد قتله، فيعذّبه عذاباً عظيماً، وهو النُكر، وذلك عذاب جهنّم"[٣٨]، فالسياق القرآني يخبرنا عن عقوبتين لمن ظلم؛ أي كفر بالله وأصرّ على كُفره، وهاتين العقوبتان تقعان في الزمن المستقبل، أحدهما في المستقبل القريب، وهي عقوبة القتل في الدّنيا، والأخرى في المستقبل البعيد وهي عقوبة عذاب يوم القيامة، وممّا يوكد الزمن المستقبل للحدثين؛ إنّ الخطاب جاء بصيغة التهديد والوعيد، وذلك يُشير إلى الزمن المستقبل.

فالزمن القريب يتضمّن عذاب القتل، وقد سبقه حرف التنفيس (سوف)؛ لأنّ هنالك فترةٌ زمنيّةٌ تتوسط بين زمن الخطاب وبين زمن العذاب، وتلك الفترة هي فترة إظهار الكفر

والاستمرار والإصرار عليه، والتي تعقب الدعوة للإيمان بالله تعالى، ثمّ يأتي بعدها زمن العقاب بالقتل، وقيل إنّه لا دليل على تخصيص العذاب بالقتل؛ فربما تكون عقوبةً غير القتل[٣٩].

وممّا يؤكد الزمن المستقبل لفعلي (العذاب)؛ وجود التخيير لذي القرنين، في قوله تعالى: ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱠ[٤٠]؛ ومعناه: "إمّا أن تُعذب وإمّا أن تتّخذ فيهم حُسناً يدلّ على أنّ سكان آخر المغرب كانوا كفاراً فخير الله ذا القرنين فيهم بين التعذيب لهم إن أقاموا على كفرهم وبين المنّ عليهم والعفو عنهم"[٤١]، كما نلحظ تقديم العذاب الدنيويّ للكافرين على عذاب الأخرة؛ لأنّ تعذيب ذي القرنين لهم عذابٌ محسوسٌ عندهم، وقد قدمه على عذاب الله تعالى نكايةً بهم، كما إنّ حال الكافرين يُشير إلى كفرهم وعدم اعتقادهم باليوم الأخر، فيكون عقاب ذي القرنين أشدّ وطأةً وتنكيلاً عليهم بحسب اعتقادهم، أمُا في آية التبشير لمن أمن وعمل صالحاً، فنجد تقديم نعيم الله تعالى في الأخرة؛ لأنّ ذلك هو مطلوب المؤمنين، ثمّ يعقبه بإحسان ذي القرنين لهم في الدّنيا بقوله: ﱡ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﱠ، وذلك جزاءٌ يسير بالنسبة لجزاء الله تعالى ونعيم الجنّة[٤٢]

ومثال دخول السين على الفعل المضارع، قوله تعالى: ﱡ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﱠ[٤٣]، والآية الكريمة حكاية عن قول موسى (>) للسّحرة الّذين تحدوه بأمر فرعون، وبعد أن ألقوا حبالهم وعصيهم، وأوهموا النّاس بأنّها تحولت أفاعي بقوة السّحر[٤٤]، وحين استقرت نفس موسى، قال: إنّ الله سيذهب بما جئتم به من عمل السّحر، وسيُمحقه بما سيأتي به على يدي من معجزةً خارقةً، تُظهر القدرة الإلهيّة، وتُبطل عمل الشعوذة[٤٥].

والفعل (يُبطل) حدثٌ مرتقبٌ في زمن المستقبل، وقد دلّت عليه (السين)؛ لأنّها تجعل الفعل المضارع خالصاً للمستقبل، كما إنّها جاءت لتأكيد حصول الفعل في المستقبل القريب[٤٦]، وممّا يؤكد الزمن المستقبل للفعل؛ هو إضفاء عنصر التشويق والترقب لما سيحصل في هذه المنازلة، فقال: ﱡ ﱷ ﱸ ﱹ ﱠ، جعل ما ألقوا مبهماً؛ "لقصد الاهتمام بذكره والتشويق إلى معرفة الخبر، وهو جملة ﱡ ﱺ ﱻ ﱠ ثمّ مجيء ضمير السّحر مفعولاً لفعل (سيُبطله)، كلّ ذلك إطناب وتخريج على خلاف مقتضى الظاهر، ليتقرر الإخبار بثبوت حقيقةٍ في السّحر له، ويتمكّن في أذهان السامعين فضل تمكن ويقع الرعب في نفوسهم"[٤٧]، كما إنّ الفترة الزمنيّة المتضمّنة لحدث إلقاء موسى لعصاه وتحولها إلى ثعبانٍ عظيمٍ تُعد فترة زمنيّة فاصلةٌ بين زمن إلقاء السّحرة وزمن الإبطال لسحرهم وكشف شعوذتهم، فيكون الفعل (يُبطل) خالصاً للمستقبل.

دلالة الفعل المضارع على الزمن المستقبل بالطلب

يدلّ الفعل المضارع على الزمن المستقبل إذا جاء بإحدى صيغ الطلب الدالّة على طلب حصول الفعل أو النهيّ عن حصوله ومن هذه الصيغ الطلبية:

الترجي

يخلص الفعل المضارع للزمن المستقبل عندما تسبقه إحدى أدوات الرجاء، مثل (لعلّ، وليت، وعسى) والتي قال عنها سيبويه: إنّها تأتي للتمني والطمع والأشفاق[٤٨]، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: **ئزآ يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ ّٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم ئر** [٤٩]، وهذا من كلام ساقي الملك، صاحب يوسف (>) في السّجن، والذي نجا وتذكر، وأخبر الملك بشأن يوسف (>) حين عجز الحاضرون عن تفسير رؤيا الملك، فأُرسل إلى يوسف وطلب منه الإفتاء في الرؤيا، ثمّ قال كما حكى عنه القرآن الكريم: **ئزآ ئن ئى ئي بر بز بمئر** ، والفعلين (أرجع، ويعلمون) جاءا بصيغة المضارع مع دلالتهما على الاستقبال لأنّهما سُبقا بأداتي الترجي (لعل، ولعلّهم) اللتان تدلّان على تمني حصول الفعل في المستقبل، والفعل بعد (لعلّ) يكون مرجواً أو متمنياً "والفرق بين تمنى الممكن وترجيه، أن المترجي متوقع حصوله بخلاف المتمني، فإنه غير متوقع"[٥٠]، وفي الآية الكريمة جاءت (لعلّ) لتمني حصول الفعل؛ لأنّ القائل غير متيقن من رجوعه إلى الملك، فقد يدركه الموت قبل ذلك، أو يعرض له ما يمنعه من الوصول[٥١]، كما إنّه بقوله: (لعلّهم يعلمون) لم يكن واثقاً من علمهم؛ سواءٌ كان العلم بالرؤيا أم بمنزلة يوسف (>) ومكانته، فربما تكون الرؤيا كاذبة، أو أنّهم ينكرون تأويل يوسف للرؤيا بغضاً به[٥٢]، وممّا يؤكد زمن الاستقبال للفعلين، قوله: (إلى النّاس)، لأنّ فيه دلالة على أنّ التعبير ليس للمتكلم؛ بل إنّه لقومٍ ينتظرون التعبير ويرتقبونه ليرفع حيرتهم، وهذا لا يمكن تحققه في زمن التكلم، بل يحتاج إلى فترة زمنيّة قد تطول أو تقصر في الزمن المستقبل، وممّا يؤكد ذلك إنّ السّجن لم يكن في البلد نفسه الذي فيه المنتظرين لمعرفة تأويل الرؤيا[٥٣]، وبالنظر للقرائن السياقيّة السابقة يتأكد أنّ زمن الفعلين (أرجع، ويعلمون) هو الزمن المستقبل.

العرض والتحضيض

العرض: معناه: طلب فعل الشّيء في المستقبل بلينٍ، ومن أدواته (ألا، ولوما، وهلا، ولولا)[٥٤]، والعرض يدخل في جواب الاستفهام، إلّا إنّه يُسمّى عرضاً؛ لأنّه أسلوب عرض، وأن كان في لفظه استفهاماً[٥٥] ومن الأمثلة القرآنيّة على ذلك، قوله تعالى: **ئزآنر نز نم نن نى ني**

ئر[٥٦]، والخطاب موجهٌ من إبراهيم (>) للأصنام الّتي يعبدها قومه، وقد وجد عندها طعاماً، وضعه الناس لألهتهم، فعرضه عليها وقال: (ألا تأكلون) مُستهزأً بأصنامهم الّتي يوقرونها، وقال بعدها (مالكم لا تنطقون) على سبيل التهكم، وإنّما خاطبهم بخطاب من يعقل؛ لأنّ القوم قد أنزلوها بمنزلة من يعقل، فأراد أن يدمغ حُجّتهم[٥٧].

ويُشير الفعل (تأكلون) للزمن المستقبل، لأنّه جاء بصيغة العرض مصحوباً بالاستهزاء، فإنّ "عرض الأكل عليها، واستفهامها عن النطق هو على سبيل الهزء، لكونها مُنحطة عن رتبة عابديها، إذ هم يأكلون وينطقون"[٥٨]، فإنّ حال إبراهيم (>) كالمنتظر لحدثٍ لن يحصل أبداً، فإنّه مُتيقنٌ من عدم حصوله؛ وإنّما يريد اثبات العجز لهذه الأصنام، حتّى وأن كان لوحده حاضراً؛ فذلك لزيادة نقمته عليها، وإنّ عجزها عن الأكل في زمن تقريب الطعام، وهو الزمن الحال بالنسبة للخطاب، ممّا دفع إبراهيم (>) لمخاطبتها على سبيل العرض والتهكم والاستهزاء بقوله (ألا تأكلون) وهذا طلبٌ للزمن المستقبل، كما أن قوله تعالى في الآية اللاحقة: ئزير يز يم ينئر دليلٌ على عجزها عن النطق[٥٩]، والعجز عن القيام بالشّيء دليلٌ على عدم حصوله في الماضي أو الحاضر، فينصرف الطلب للمستقبل، وكما عجزت عن النطق فإنّها عاجزة عن الأكل.

الدعاء

يخلص زمن الفعل المضارع للمستقبل إذا جاء بصيغة الدعاء، وقد تجتمع (لا) الناهية مع الدعاء؛ لأنّها تقتضي طلباً[٦٠]، ومنه قوله تعالى: **ئزاً يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج ئر**[٦١]، فقد جاء الفعل (تجعل) دالاً على الزمن المستقبل؛ لأنّه دعاء من قوم موسى (>) بعد أن أمرهم نبيهم بذلك، فإنّهم "رغبوا إلى الله في أن يُجيرهم من أن يكونوا محنةً لقوم فرعون وبلاءً، وكلّ ما كان من أمرٍ كان لهم مصدَّةٌ عن اتباع موسى والإقرار به، وبما جاءهم به"[٦٢]، فإنّ دعائهم لدفع ما يتوقع حصوله في المستقبل وتخوفهم من تسلط الكافرين عليهم، أو ظهور الشرك حين يعتقد الكافرين إنّهم على حق[٦٣]، وبالنظر لسياق الحال، فإنّ حال المؤمنين هو حال الانتظار للبشارة؛ أي: البشارة باستجابة الدعاء بالخلاص من فرعون وقومه الكافرين، فإنّ قوله تعالى في الآية اللاحقة: ئزاً تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صحصخ صم ضجئر[٦٤] "يؤذن بأنّ ما أُمروا به من اتخاذ البيوت أمرٌ بحالةٍ مُشعرةٍ بترقب أخطارٍ وتخوفٍ فإنهم قالوا: ئزئج ئح ئخ ئمئر فأُمر موسى أن يبشرهم بحسن العاقبة، وإنّهم منصورون على عدوهم وناجون منه"[٦٥]، فالسياق اللغويّ والمقاميّ يُشير إلى أنّ زمن الفعل (تجعل) في الآية

الكريمة هو الزمن المستقبل؛ لأنّ ما يدعون به الله تعالى هو توقع استجابة الوعد، وعاقبة الإيمان، والتوكل، والوعد الإلهي بالخلاص.

النهيّ ودلالته على المستقبل مع الفعل المضارع

يخلص الفعل المضارع للاستقبال إذا دخلت عليه (لا) الناهية؛ لأنّها موضوعة لطلب الترك[٦٦]ومن الأمثلة القرآنيّة على ذلك قوله تعالى: **ﱡ كم لج لح لخ لم له هج مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج ﱠ يج يح يخ يم يه ئم ئه بم به تم ته ثم ثه ئر**[٦٧]، فإنّ الفعل المضارع (تَتّبع) يُشير إلى الزمن المستقبل؛ لأنّ معناه: "وَلا تَتَّبع هوى النّفس في قضائك وغيره مما تتصرف فيه من أسباب الدّين والدنيا فيُضلَّك الهوى فيكون سبباً لضلالك عن سبيل اللَّه عن دلائله الّتي نصبها في العقول، وعن شرائعه الّتي شرعها وأوحى بها"[٦٨]، وفي الآية نهيٌ لترك القيام بفعلٍ، وهو اتباع الهوى في القادم من الزمن، كما إنّ هذا الفعل قد حصل في الماضي كما في قوله تعالى في الآية السابقة: **ﱡ غم فج ﱠ**؛ لأنّه حصل في قضاء قد حكم فيه داوُد (>) " وأيد بهذا النهيّ ما قيل إنّ ذنبه (>) المبادرة إلى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مُساءلته"[٦٩]، كما إنّ صيغة الأمر في بداية الآية الكريمة بقوله تعالى: **ﱡ مج مح مخ ﱠ** فيها طلب القيام بالفعل في زمن المستقبل بصيغة الأمر، وعدم اتباع الهوى مرتبط بالأمر بالحكم بالحقّ؛ فيكون مُنصرفاً للزمن المستقبل ايضاً.

ثالثاً: دلالة فعل الأمر على الزمن المستقبل

إنّ فعل الأمر يُشير إلى الزمن المستقبل في الغالب في أصل الصيغة؛ لأنه طلب فعل لم يحصل بعد، إلّا إذا اقترن بقرينةٍ سياقيةٍ تصرفه عن الزمن المستقبل، وقد تصحب فعل الأمر الدالّ على المستقبل قرائن سياقية تؤكد دلالته الزمنيّة وتعززها، كاقترانه بظرف زمانٍ، أو أن يأتي بصيغة الدعاء، وغيرها من القرائن السياقيّة.

دلالة فعل الأمر على المستقبل بقرينة الدعاء

مرّ بنا أنّ الدعاء يُخلص زمن الفعل للمستقبل، وتأكيد تلك الصيغة الزمنيّة للمستقبل في فعل الأمر، ومن ذلك قوله تعالى: **ﱡ بخ بم به تج تح ﱠ**[٧٠]، فأنّ الفعل (نجّنا) في الآية الكريمة غير متحقق بعد في زمن التكلم، وجاء بصيغة الدعاء من قبل بني إسرائيل بعد أن طلب منهم نبيهم موسى (>) التوكل على الله والدعاء، فقالوا: **ﱡ بخ بم ﱠ**؛ أي: "خلِّصنا من أيدي القوم الكافرين، قوم فرعون، لأنّهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الأشياء القَذِرة من خدمتهم"[٧١]،

فأنّ زمن استجابة الدعاء متأخر عن زمن التكلم والدعاء بالأنجاء من فرعون وظلمه، فأصحاب موسى (>) كانوا في حالة خوف من ظلم فرعون وسطوته، فأمرهم نبيهم بالدعاء للنجاة من فرعون والحفاظ على دينهم من الفساد، وتحقق ذلك بعد مدةٍ زمنيّة؛ حين أغرق الله تعالى فرعون وجنوده، وذلك زمنٌ مستقبلٌ بالنسبة لزمن الدعاء.

دلالة فعل الأمر على الزمن المستقبل بقرينة ظرف الزمن

ومن الأمثلة القرآنيّة على ذلك، قوله تعالى: **ﱡ صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم ﱠ**[٧٢]، وهذا من كلام إخوة يوسف (>) حين عقدوا العزم على اصطحاب يوسف معهم وإقناع أبيهم بهذا الأمر، لذلك قالوا: (أرسله معنا)؛ أي: للصحراء لينظر، ويعقل، ويلهوا ويلعب، وينشط في الصحراء، ويرعى الغنم كما يفعل الرجال، ونتعهد بحفظه من كلّ ما يكرهه، أو يؤذيه[٧٣]، وفعل الأمر دالٌّ على المستقبل بصيغته؛ لأنّه يدلّ على طلب القيام بالفعل في المستقبل، كما إنّ سياق الكلام يدلّ على إنّ الطلب جاء بصيغة الرجاء؛ لأنّهم كانوا يتمنون موافقة أبيهم يعقوب على طلبهم، وهذا ما دلّت عليه الآية السابقة بقوله تعالى: ﱡ ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ ﱠ[٧٤].

ومجيء ظرف الزمان (غداً) في الآية الكريمة؛ يؤكد دلالة فعل الأمر الزمنيّة فقد "انتصب (غداً) على الظرف، وهو ظرف مستقبل يطلق على اليوم الذي يلي يومك، وعلى الزمن المستقبل من غير تقييد باليوم الذي يلي يومك، وأصله: غدو، فحذفت لامه وقد جاء تاماً"[٧٥]، وكلّ ذلك يُشير إلى الزمن المستقبل للفعل، سواءُ كان حدث الأرسال في اليوم التالي لطلبهم أم ما بعده من الأيام، لكن السياق يُشير إلى قرب ذلك الحدث في الزمن المستقبل القريب؛ وذلك لإصرار إخوة يوسف وعزمهم على تحقيق هذا الأمر.

الخاتمة

ويتضح مما تقدّم الأثر البالغ للسياق في بيان دلالة الفعل على الزمن المستقبل؛ فقد يدلّ الفعل بصيغه الثلاث على الزمن المستقبل؛ إذا اقترن بظرف زمان يُشير إلى المستقبل مثل (غداً، أو اليوم الآخر، أو يوم القيامة... وغيرها من الألفاظ الدالّة على الاستقبال)، أو أن تكون الآية متضمنةً لمعنى الشرط؛ فيدلّ الفعل فيها على المستقبل، وقد تكون الصيغة فعلاً ماضياً ولكن الدلالة الزمنيّة تُشير إلى المستقبل؛ وذلك لحتمية وقوع الفعل، فعبّر عنها بصيغة الماضي، كما يدلّ الفعل المضارع على المستقبل إذا سُبق بأداة استفهامٍ، أو يكون الفعل المضارع أو الأمر دالّاً

عل الطلب كالدعاء، والعرض، والتحضيض، والترجي، أو أن يأتي بصيغة النهيّ، كما يدلّ المضارع على المستقبل إذا اقترن بأحد حروف التنفيس (السين، وسوف).

الهوامش

(١) يُنظر: كتاب سيبويه: ١٢/١.
(٢) يُنظر: رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الإيضاح: ٢١، وهمع الهوامع: ١٧/١.
(٣) التعريفات: ١٧٨، ويُنظر: التوقيف على مهمات التعاريف: ٣٠٥.
(٤) سورة هود: ٨١.
(٥) يُنظر: جامع البيان: ٥١٥/١٢، والجامع لأحكام القرآن: ١١/ ١٨٤-١٨٥.
(٦) معاني القرآن وإعرابه: ٦٨/٣، ويُنظر: تأويلات أهل السُّنّة: ١٦٣/٦، والنكت والعيون: ٤٩/٢.
(٧) يُنظر: جامع البيان: ٥١٥/١٢، والكشف والبيان: ١٨٣/٥، ومحاسن التّأويل: ٦/ ٣٤٧٤.
(٨) سورة النحل: ١.
(٩) التّحرير والتّنوير: ١٢/ ١٣٣.
(١٠) يُنظر: الكشّاف: ١٢٢/٣، والجامع لأحكام القرآن: ١٨٥/١١.
(١١) مُغني اللبيب: ٩٧/١.
(١٢) سورة المائدة: ٢٣.
(١٣) يُنظر: جامع البيان: ٢٩٩/٨، والكشف والبيان: ٤٣/٤.
(١٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٤٣٠/١.
(١٥) يُنظر: مفاتيح الغيب: ١٥٨/١١، والجامع لأحكام القرآن: ٣٩٩/٧، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٤٣٩/١.
(١٦) سورة المائدة: ٢١.
(١٧) سورة المائدة: ٢٢.

(١٨) جامع البيان: ٢٩٢/٨، ويُنظر: المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٧٣/٢.
(١٩) سورة المائدة: ٢٤.
(٢٠) يُنظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٤٣٩/١، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥٧٥/٢.
(٢١) سورة يونس: ٨٩
(٢٢) التّحرير والتّنوير: ٢٧٢/١١.
(٢٣) يُنظر: جامع البيان: ٢٧٣/١٢، وروح المعاني: ١٦٣/٦، تفسير الصّافيّ: ٥٣٧/٣.
(٢٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٦٠٧/٣، ويُنظر: تفسير المنار: ٤٧٣/١١.
(٢٥) يُنظر: مفاتيح الغيب: ١٢٢/١٧، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١١٤/٢.
(٢٦) سورة هود: ٢٦.
(٢٧) تأويلات أهل السُّنّة: ١١٩/٦، ويُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٢٧/٢، والكشّاف: ١٩٢/٣.
(٢٨) يُنظر: تأويلات أهل السُّنّة: ١١٩/٦، وروح المعاني: ٢٣٦/٦.
(٢٩) من ديوان لبيد بن ربيعة العامريّ: ٦٩، مع اختلاف عجز البيت عما ذُكر في تفسير التّحرير والتّنوير.
(٣٠) التّحرير والتّنوير: ٤٤/١٢.
(٣١) يُنظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٣١/٣، وروح المعاني: ٢٣٦/٦.
(٣٢) يُنظر: محاسن التّأويل: ٣٤٢٧/٩، والتّحرير والتّنوير: ٤٥/٢.
(٣٣) يُنظر: التّحرير والتّنوير: ٤٥/١٢.
(٣٤) سورة هود: ٣٢-٣٣.
(٣٥) الميزان: ١٩٠/١٠.
(٣٦) يُنظر: مُغني اللبيب: ١٤٧/١-١٤٨، وزمن الفعل في اللغة العربيّة: ٩٤.
(٣٧) سورة الكهف: ٨٧-٨٨.
(٣٨) جامع البيان: ٣٧٩/١٥، ويُنظر: مجمع البيان: ٢٩١/٦، وتفسير الجلالين: ٣٩٣/١.
(٣٩) يُنظر: البحر المحيط: ١٥٢/٦، والميزان: ٣٥٧/١٣.
(٤٠) سورة الكهف: ٨٦.

(٤١) مفاتيح الغيب: ١٤٢/١١، ويُنظر: الميزان: ٣٥٦/١٣-٣٥٧، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٤٥٨/٤.

(٤٢) يُنظر: المحرّر الوجيز: ٥٤٠/٣، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٩٢/٣، والبحر المحيط: ١٥٢/٦.

(٤٣) سورة يونس: ٨١.

(٤٤) يُنظر: تفسير المنار: ٤٦٨/١١، وتفسير المراغي: ١٤٣/١١.

(٤٥) يُنظر: جامع البيان: ٢٤٤/١٢، وتأويلات أهل السُّنّة: ٧٤/٦، والكشّاف: ١٦٥/٣.

(٤٦) يُنظر: روح المعاني: ١٥٧/٦، ومحاسن التّأويل: ٥٤/٦، والتّحرير والتّنوير: ٢٥٦/١١.

(٤٧) التّحرير والتّنوير: ٢٥٦/١١.

(٤٨) كتاب سيبويه: ٢٣٣/٤، ويُنظر: شرح المفصّل: ٥٦٩/٤.

(٤٩) سورة يوسف: ٤٦.

(٥٠) معاني النّحو: ٣٠٤/١.

(٥١) يُنظر: الكشّاف: ٢٩٢/٣، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٧٦/٢، ومحاسن التّأويل: ٣٥٤٨/٩.

(٥٢) يُنظر: النكت والعيون: ٤٤/٣، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٩٣/٤.

(٥٣) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٧٦/٢، وروح المعاني: ٤٤٤/٦، والميزان: ١٩٢/١١.

(٥٤) يُنظر: مُغني اللبيب: ٧٢/١، والزمن النّحوي في اللغة العربيّة: ٢٦٣.

(٥٥) يُنظر: شرح المفصّل: ٢٧٥/٤.

(٥٦) سورة الصّافّات: ٩١.

(٥٧) يُنظر: الكشف والبيان: ٢٧٩/٦، والجامع لأحكام القرآن: ٥٤/١٨، وتفسير أبن كثير: ٢٢/٧.

(٥٨) البحر المحيط: ٣٥١/٧، والاتقان في علوم القرآن: ١٧٠٨/٥.

(٥٩) يُنظر: جامع البيان: ٥٧١/١٩، ومعاني القرآن للنّحّاس: ٤٣/٦.

(٦٠) يُنظر: التّذييل والتّكميل: ١٠١/١، والنّحو الوافي: ٥٨/١.

(٦١) سورة يونس: ٨٥.

(٦٢) جامع البيان: ٢٥٣/١٢، ويُنظر: تفسير أبن ابي حاتم: ١٩٧٦/٦، والكشف والبيان: ١٤٣/٥.

(٦٣) يُنظر: المحرّر الوجيز: ١٣٨/٣، وتفسير المنار: ٤٦٩/١١، وتفسير المراغي: ١٤٥/١١.

(٦٤) سورة يونس: ٨٧.

(٦٥) التّحرير والتّنوير: ٢٦٧/١١.

(٦٦) يُنظر: شرح التسهيل: ٦٢/٤، ومُغني اللبيب: ٢٧١/١.

(٦٧) سورة: ص: ٢٦.

(٦٨) الكشّاف: ٢٦١/٥، ويُنظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٥٧٢/٤.

(٦٩) روح المعاني: ١٧٩/١٢، ويُنظر: محاسن التّأويل: ١٤:٥٠٩٥.

(٧٠) سورة يونس: ٨٦.

(٧١) جامع البيان: ٢٥٤/١٢، ويُنظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٤/١١، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١١٣/٢،

(٧٢) سورة يوسف: ١٢.

(٧٣) يُنظر: جامع البيان: ٢٨/١٣-٢٩، وتفسير ابن أبي حاتم: ٢١٠٨/٧، وصفوة التّفاسير: ٤٣/٢.

(٧٤) سورة يوسف: ١١.

(٧٥) البحر المحيط: ٢٨٦/٥، ويُنظر: روح المعاني: ٣٨٥/٦، والتّفسير المنير: ٥٥١/٦.